

ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تجديد وسائل تدريس السيرة النبوية في سبيل تحقيق واحدة من أهم أهداف تدريس هذا المقرر للطلبة الجامعين متمثلاً في الاقتداء بشخصه الكريم صلى الله عليه وسلم وتمثل أخلاقياته السامقة والمثل والقيم الأخلاقية التي قامت عليها رسالته للعالمين. وقد تم توظيف آلية المشاريع العملية في هذه الدراسة للكشف عن أثر التدريس باستخدام المشاريع العملية مقارنة بالطريقة الاعتيادية في تعزيز السلوك الأخلاقي لدى الدارسين في مقرر السيرة النبوية. وقد تكونت عينة الدراسة من (50) طالباً موزعين في مجموعتين (تجريبية وضابطة) درست الأولى بآلية المشاريع العملية بينما درست الثانية حسب طريقة المحاضرة الاعتيادية. وبعد التأكد من تكافؤ مجموعتي الدراسة؛ قامت الباحثة بتطبيق نمط التعليم عن طريق المشاريع العملية على المجموعة التجريبية. حيث أظهرت نتائج التحليل وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعتي الدراسة في تعزيز القيم الأخلاقية لصالح نمط التعليم عن طريق المشاريع العملية مقارنة بالطريقة الاعتيادية. وتوصي الدراسة بأهمية زيادة الدراسات حول العلاقة بين توظيف آليات التعليم القائم على المشاريع وغيرها وتعزيز القيم الأخلاقية لمباحث أخرى ومقررات أحر خاصة في الدراسات الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، أساليب التدريس، المشاريع العملية، تعزيز السلوك الأخلاقي.

Abstract

The biography of the Prophet Muhammad (PBUH) is predominantly taught using the traditional lecture-based method in most educational institutions. In this study, we propose the use of practical projects, particularly in the teaching of morals, as a successful and effective alternative to more theoretical forms of teaching. The sample in this study consisted of (50) students divided into two groups (an experimental and a control group). The former was taught using the new practical approach, while the latter followed the standard mode of teaching. The results of the analysis demonstrate that there are statistically significant differences between the two groups in the promotion of ethical values, favoring the use of education through practical projects as compared to the traditional mode of teaching. We argue here that using practical

projects in the process of teaching the biography of the Prophet, and potentially Islamic studies in general, plays a positive role in both the pedagogical and religious outcomes of teaching.

المقدمة

يقف الباحث في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على كم هائل من الأحاديث والوقائع المدونة في كتب السيرة والأحاديث، التي يمكن من خلالها الوقوف على شمائل النبي الكريم ومآثره وسجاياه. ولم تخلُ العديد من هذه الدراسات - المكتوبة بأقلام إسلامية - من النبرة العاطفية، فجاءت في سياق الدفاع عن مفاصل محورية في السيرة والسنة، وتبني منهجية التبرير وردّ الأباطيل والشبهات المزورة التي تناولت جوانب عدة من سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم العطرة.

إلا أن من أعظم ما يميز السيرة النبوية، تلك القيم الأخلاقية التي حرص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على غرسها وتميئتها. وليس ثمة غرابة في ذلك فالقرآن العظيم ربط بين الإيمان والعمل الصالح ليجعل من العمل الصالح دليلاً على الإيمان وزيادته. فجاء خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن. جاء في حديث طويل في قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة، وأتى عائشة رضي الله عنها يسألها عن بعض المسائل، فقال: فقلت: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: أأستقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن. قال: فهتممت أن أفوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت... الخ) رواه مسلم.

ولم تكن تلك القيم الأخلاقية والمبادئ العظيمة التي جاءت بها رسالة الإسلام، نظرية علمية جامدة منفصلة عن العمل والسلوك، كما أوضح ذلك محمد أسد في كتابه الموسوم ب: الإسلام على مفترق الطرق، حين قال أن السنة ليست مجرد حشود من المفردات السلوكية، ولكنها وحدة مركبة وبرنامج عمل يتميز بالشمولية والترابط، ويوازي حياة المسلم نفسها بكل تفاصيلها ونبضاتها. وأن هداية النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن تضم الحياة على أنها وحدة مركبة، أي على أنها مجموع أعمق المظاهر الخلقية والعملية والشخصية والاجتماعية، وهذا أعمق معاني السنة¹.

إلا أن أساليب تدريس هذه السيرة العطرة بحاجة إلى مراجعة دقيقة سواء ما يتعلق بالخطط والبرامج الدراسية وأساليب التدريس، أو ما يتعلق بالمنهج من حيث الأهداف والمحتوى وطرق التدريس والتقويم.

فالواقع المعاصر بخطوطه المتشعبة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، يفرض أنماطاً جديدة من التعلم تهدف إلى تفعيل دور المتعلم من خلال البحث والتجريب وتدريب الطالب على التعلم الذاتي النشط واكتساب المهارات وتكوين القيم والاتجاهات دون التركيز على الحفظ والتلقين السائد لفترات طويلة، والحاجة ماسة لتوظيف وسائل تعليمية جديدة وأدوات غير تقليدية من شأنها تعزيز السلوك الأخلاقي لدى الطلبة.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتقدم نموذج المشاريع العملية في تدريس السيرة النبوية، وهي دراسة طبقت أثناء تدريس الطلبة في جامعة البحرين لهذا المقرر الأساسي في الدراسات الإسلامية.

1 - محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة د. عمر فروخ، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1965 م.

إشكالية الدراسة وأصلتها

يعد تعزيز القيم الأخلاقية لدى الطلبة الجامعيين بشكل عام وطلبة المقررات الإسلامية بشكل خاص واحدة من أهم القضايا التي تشغل حيزاً كبيراً من اهتمام الأساتذة والإداريين وكذلك المتعلمين. خاصة وأن العالم بأسره يتعرض اليوم لتحديات كبيرة على المستوى القيمي والأخلاقي. إلا أن وسائل تحقيق هذه التعزيز الأخلاقي وتنمية السلوكيات الإيجابية، متنوعة ومتفاوتة. من هنا تتناول هذه الدراسة واحدة من هذه الوسائل المتمثلة في آلية انخراط الطلبة في مشاريع عملية يمارسون من خلالها القيم الأخلاقية التي يتعلمونها من خلال دراسة السيرة النبوية، التي جاءت بالوقوف على أخلاقيات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ومواقفه المتعددة التي تعكس القيم التي نادى بها رسالته.

وتتحدد إشكالية الدراسة بالتساؤل الرئيسي التالي:

- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين استعمال آلية المشاريع العملية في تدريس السيرة النبوية وتعزيز ممارسة القيم الأخلاقية لدى الطلبة عند مستوى دلالة 5%. بين متوسط درجات المجموعة التجريبية القبلي والبعدي على مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي الذي صممه الباحثة؟. وهل توجد فروق بين درجات الطلبة الجامعيين الذين انخرطوا في المشاريع العملية على مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي، ودرجات زملائهم الذين لم ينخرطوا في المشروع العملي؟.

فرضيات الدراسة

- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين استعمال آلية المشاريع العملية في تدريس السيرة النبوية و تعزيز السلوك¹ الأخلاقي للطلبة عند مستوى دلالة 0.05.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) بين درجات الطلبة الجامعيين الذين انخرطوا في المشاريع العملية على مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي، ودرجات زملائهم الذين لم ينخرطوا في المشروع العملي.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى فاعلية المشاريع العملية في تعزيز الجوانب الأخلاقية لدى الطلبة الدارسين للسيرة النبوية من حيث إتاحة الفرصة لهم لتطبيق المعرفة النظرية التي يتلقونها في المقرر في واقع حياتهم. ومن ثم محاولة تعميم وتطوير استخدام هذه الآلية التدريسية في مباحث أخرى ومقررات متنوعة، تثري وتعزز القيم الأخلاقية لديهم.

أهمية الدراسة

1- السلوك لغةً: هو من المصطلحات الحديثة التي لم ترد في النصوص الدينية، وقد ذهب بعض اللغويين إلى أنه ليس له أصلٌ في اللغة؛ لأنَّ السلوك لغةً هو التجاوز [ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 327]، وهو بمعنى السيرة والنصرتات [قلنجي، معجم لغة الفقهاء، ص 249] وهو المراد في هذه الدراسة.

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها دراسة تطبيقية تتناول واحدة من أهم وأبرز آليات تعزيز المبادئ الأخلاقية عند الطلبة الدارسين لمقرر السيرة النبوية. الأمر الذي يسهم في تطوير وتحسين المناهج ووسائل التعلم لهذا المقرر الأساسي في الدراسات الإسلامية بشكل خاص. كما أنه لا تخفى أهمية المراجعة والنظر المتواصل في آليات التعلم ومدى فاعليتها في تعزيز الجوانب الأخلاقية لدى الطلبة، وهذه الدراسة جاءت تحقيقاً لهذا الغرض.

الدراسات السابقة

وقفت الدراسة على العديد من المؤلفات والبحوث المهمة بمراجعة أدوات وآليات تطوير وسائل التدريس والتقويم بشكل عام، ومجمل الدراسات تذهب إلى أن وسائل ومناهج التدريس في المرحلة الجامعية- في العديد من دول العالم الإسلامي- لا يزال يغلب عليها الطابع النظري، والتلقين المعرفي على حساب الجانب التطبيقي المهاري.

كما أوضحت العديد من الدراسات أن الكثير من المناهج ترجح ما هو نظري مجرد على ما هو عملي، ومن تلك الدراسات الهامة تقارير التنمية البشرية العربية العالمية المهتمة بواقع التعليم في الوطن العربي التي ذهب العديد منها إلى أن طرق الإلقاء والتلقين والحفظ والاستظهار هي التي تطغى على التعليم، كما تقتصر أساليب التقويم على قياس الحفظ والتذكر فقط¹.

ومن هنا نادى المتخصصون بضرورة الابتعاد عن الأساليب التقليدية في التدريس التي غايتها إيصال المعرفة إلى أذهان الطلبة بغض النظر عن حاجاتهم النفسية ودوافعهم وميولهم ورغباتهم².

وإن كان هذا الأمر ضرورياً في غالب المقررات الدراسية، فإنها في مقرر السيرة النبوية وغيرها من مقررات الدراسات الإسلامية المتعلقة بالجانب الأخلاقي بشكل مباشر، أشد ضرورة وإلحاحاً. إذ أن الغاية من تلك المقررات تعليم المتلقي الاقتداء والتأسي بشخصية النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. الأمر الذي يقتضي إدخال أساليب وممارسات تعلم الطلبة كيفية التأسي بتلك الأخلاقيات والفضائل في واقعه ومواقفه الحياتية.

فالطالب حين يدرس السيرة النبوية يقف على الأخلاق والشمال النبوية فيحفظ عن سماحة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعدالته وكرمه واحترامه للكبير وعطفه على الصغير، وقد يحفظ عشرات الأحاديث عن ذلك ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أنه أصبح قادراً على ممارستها وتطبيقها.

1- التقرير لعام 2012م على الموقع الإلكتروني:

- <http://www.arab-hdr.org/publications/other/ahdr/ahdr2002a.pdf>، ص 51. وانظر كذلك تقرير 2011/2010م الذي لم يختلف في محتواه كثيراً عن التقارير السابقة التي دعت كلها إلى ضرورة تحسين التعليم وأساليبه. وانظر كذلك: محمود السيد، من التحديات التي تواجه التعليم العربي في المرحلة القادمة، بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الأول، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، 7-10 ديسمبر 1997م.

- الطالبي، مناهج تدريس العلوم الإسلامية في حاجة إلى تجديد، مقابلة منشورة في موقع الرابطة المحمدية للعلماء، بتاريخ: 2008/2/26م، وقد حواره أ. جواد الشقوري. <http://www.arrabita.ma/contenu.aspx?C=161&S=3>

2- عبدالله النافع، التعليم بتنمية مهارات التفكير، مجلة المعرفة العدد (83) مايو، وزارة المعارف - المملكة العربية السعودية، ص 25-31

في حين أن المنظومة التعليمية لا ينبغي أن ينفصل فيها التعليم بجوانبه المعرفية عن التربية الأخلاقية. إذ أن المنظور الشامل للرسالة التعليمية يقصد به تكوين شخصية المتعلم بكل أبعادها المعرفية والوجدانية والسلوكية.

أما الباحث في المؤلفات التي تناولت سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فإنه يجد كما عددًا ونوعيًا تناولت مختلف جوانب شخصيته وحياته ومواقفه وغزواته من قبل اتجاهات متعددة وأقلام شتى. إلا أن الكثير منهم عرضوها على أنها خطب دينية ونصوص إرشادية روحية لا علاقة لها بمسائل التحضر ومعالجة القضايا الإنسانية الكبرى. على الرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان واعيًا للقضايا الاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية ومعالجًا لها وفق منهجية دقيقة. من هنا تبرز الحاجة إلى معرفة عميقة لفقه السيرة النبوية وعناصر الحياة الإنسانية وواقعها¹.

ومن الكتابات المهمة التي دوّنها كتاب غريون حول السيرة النبوية؛ كتب ومؤلفات الكاتبة المعروفة كارن آرمسترونج². وقد ظهر في بعض كتاباتها وخاصة كتابها: (محمد نبي لعصرنا) إعجابها بشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وقدرته على تغيير واقعه وأهميته تناول منهجه في التغيير والإصلاح ومدى الحاجة إليه حتى في عصرنا الحاضر. وقد تناولت بالرد على الأفكار المغلوطة التي تنتشر عنه في بعض أوساط المجتمعات الغربية حول ذلك³.

وتُحاول الكاتبة في عدد من مؤلفاتها، تحليل أسباب هذه النظرة الغربية المحيضة للإسلام ولشخصية النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وتقدم بعض العوامل التي أسهمت في بروز هذه النظرة: كالخوف من الإسلام، والجهل الشديد بتعاليمه، وواقع المجتمعات الإسلامية المعاصرة وما يسود بعضها من مشكلات اقتصادية وسياسية واجتماعية تدفع أحياناً إلى أعمال العنف أو التطرف، رغم أن هذه المشكلات - من وجهة نظر المؤلفة - ناجمة عن ظروف وعوامل أخرى، لا يمكن أن يكون الإسلام سببها أو الدافع إليها. وترى المؤلفة أن سطوة الإعلام الغربي تلعب دوراً بارزاً في تكريس هذه النظرة السطحية. وتتلخص آرمسترونج إلى حقائق هامة تخاطب بها مجتمع الغرب، مؤكدة من خلالها أن الإسلام دين سماوي، حمل للبشرية قيم الوحدة والعدالة، والحشمة والرحمة واحترام الإنسانية. وأن النبي الكريم قدّم نموذجاً عملياً لحل العديد من الأزمات التي ما يزال عالمنا المعاصر يعاني منها:

ومن الدراسات الغربية المهمة في هذا المجال، كتابات المؤلف الأيرلندي والروائي العالمي برنارد شو الحاصل على جائزة نوبل في الأدب. ويرى Bernard Show أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمتلك القدرة على استيعاب أطوار الحياة

1- Ruqaiya Alalwani. New Paradigm in reading the biography of Prophet Muhammad (PBUH) with some practical examples, Jil Journal of Human and Social Sciences, No 32. June (2017). <http://jilrc-magazines.com/wp-content/uploads/2017/06/>.

2- كارين آرمسترونج راهبة كاثوليكية، تعمقت في قراءة أديان العالم، وتوسعت في إقامة المقارنات فيما بينها، ثم أصبحت كاتبة تحتم بالدراسات الدينية والفلسفية والأدبية، وقد أصابت شهرة واسعة في أبحاثها التي اتصفت بالموضوعية، والتحرر من عقد الضغينة والكراهية والحرص على إمطة اللثام عن الحقائق، والجهل بها، والدفاع عنها حتى لو خالفت في الحقيقة آراء محيطها الثقافي، وبيتها الفكرية. والدينية.

3- Fundamentalism in Judaism, Christianity and Islam (2000), Islam: A Short History (2000), Muhammad: -3 A Prophet For Our Time (2006).

المختلفة في كل العصور وأنه يجب أن يسمى النبي محمد، منقذ الإنسانية. ولو تولى شخص مثله الحكم في العالم المعاصر لنجح في حل مشكلاته¹.

ومنها كذلك: كتابات ليوبولد فايس² (محمد أسد) الذي حرص على توضيح معنى السنة ومكانها في التشريع الإسلامي، ومدى التوثيق الذي حظيت به، وما هي طبيعة التعامل التي يجب أن تنظم العلاقة بينها وبين المسلم، وردود الأفعال التي تمخضت عن هذا التعامل عبر التاريخ. و يصل محمد أسد في كتابه الموسوم ب: الإسلام على مفترق الطرق³، أن السنة ليست مجرد حشود من المفردات السلوكية، ولكنها وحدة مركبة وبرنامج عمل يتميز بالشمولية والترابط، ويوازي حياة المسلم نفسها بكل تفاصيلها ونبضاتها. أعمق المظاهر الخلقية والعملية والشخصية والاجتماعية، وهذا أعمق معاني السنة⁴.

وثمة كتابات وقفت عليها الدراسة، اهتمت بأساليب وطرائق التدريس في تدريس مختلف المواد، كحلّ للخروج من أزمة التلقين المعرفي المحض⁵، وأكدت هذه الدراسات الصلة الوثيقة بين التفكير وأساليب التعلّم النشط كحلّ للمشكلات وأساليب المشاريع وغيرها⁶.

ففهم هدايات النبي الكريم تتطلب أساليب ووسائل تعليمية وتربوية تسوق إلى تعليم الطلبة كيفية الاقتداء بهديه والسير على نمجه وفاعلية ذلك الاقتداء في حلّ أزمتهم والترقي بحياتهم وسلوكياتهم نحو الأفضل والأقوم. وقد أكد كثير من التربويين ضرورة البدء المبكر لتدريب الطلبة على استعمال هذا الآليات لمواجهة التحديات التي تواجههم في الواقع. إلا أن غالب هذه الدراسات لم تتعرض بشكل خاص لمقرر السيرة النبوية إلا في القليل النادر⁷.

منهجية وإجراءات الدراسة

1 - George Bernard Shaw, The Genuine Islam, Singapore, Vol. 1, No. 8, 1936.

2- "ليوبولد فايس" نمساوي يهودي الأصل، درس الفلسفة والفن في جامعة فيينا ثم اتجه للصحافة ففرع فيها، وغدا مراسلاً صحفياً في الشرق العربي والإسلامي، فأقام مدة في القدس ثم زار القاهرة. قام محمد أسد بعد إسلامه بأداء فريضة الحج، كما شارك في الجهاد مع عمر المختار، ثم سافر إلى باكستان فالتقى شاعر الإسلام محمد إقبال، ثم عمل رئيساً لمعهد الدراسات الإسلامية في لاهور حيث قام بتأليف الكتب التي رفعته إلى مصاف ألمع المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث. وأشهر ما كتب محمد أسد كتابه الفد (الإسلام على مفترق الطرق). وله كتاب (الطريق إلى مكة)، كما قام بترجمة معاني القرآن الكريم وصحيح البخاري إلى اللغة الإنجليزية.

3- محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة د. عمر فروخ، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1965 م.

4- وانظر في ذلك كله كتابنا: ماذا قدم النبي الكريم للإنسانية، مكتبة النهضة، دمشق، 2008م، ص 25 وما بعدها.

5- محمود رشدي كثير، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة، دار المعرفة، بيروت، 1981م، ص 34. عمار حامد التعليم.. دعوة إلى الحوار في الوطن العربي، الدار المصرية اللبنانية، 2006. ص 35. محمود مزعل شباط، طرق تدريس التربية الإسلامية وتطبيقاتها، دار الفضيلة، 2007م، ص 65.

65. حسن شحاته، استراتيجيات التعليم والتعلم الحديثة وصناعة العقل العربي، الدار المصرية اللبنانية، 2007. ص 41.

6- أحمد زكي صالح، علم النفس التربوي، دار النهضة المصرية، مصر، الطبعة 14، 1972. ص 501.. أحمد سعادة جودت، تدريس مهارات التفكير - مع مناهج الأمثلة التطبيقية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، 2003. ص 76. محمد جهاد جمل، تنمية مهارات التفكير الإبداعي من خلال المناهج الدراسية، دار الكتاب الجامعي، العين - الإمارات العربية المتحدة، 2005. ص 23.

7- من ذلك على سبيل المثال، كتابات الأستاذ الدكتور رشيد كهوس، له العديد من البحوث المنشورة حول السيرة النبوية ووسائل تدريسها على موقعه الإلكتروني:

<http://www.aboulyossr.com/news259.html>

تم توظيف المنهج الوصفي القائم على وصف الظاهرة وتحليلها بصورتها الواقعية، إضافة إلى الاستعانة بالمنحى الإحصائي في الدراسة لمحاولة الكشف عن العلاقات الارتباطية بين المتغيرات ودلالة الفروق، ولا تخفى أهمية توظيف هذا المنهج في تشخيص المواقف التعليمية التربوية لصلتها العميقة بالجوانب النفسية والاجتماعية للمتعلم.

المبحث الأول: المدخل النظري

أولاً: الاهتمام بممارسة الأخلاق عملياً في الإسلام

من أوضح ما جاء في تعاليم القرآن في الجوانب الأخلاقية، ذلك الربط المتواصل بين البعد التشريعي والبعد الأخلاقي من جهة والبعد الإيماني العقائدي. وهو أمر يبرز مقصد ضبط السلوك الإنساني ليصبح متطابقاً متناغماً مع الإيمان الذي يحمله الإنسان في قلبه. ولذا ورد الحديث في الآيات القرآنية متواصلاً في الوصل بين الإيمان والعمل الصالح معاً بوصفهما متلازمين. حتى إن الإيمان والعمل جاء بذلك الوصل اللفظي المباشر في خمسين موضعاً في القرآن الكريم، ليجعل تلك الصبغة مما يميز الشخصية المؤمنة من غيرها. (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) [سورة النساء: 122]. (وَيَبْشِرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [سورة البقرة: 25].

فالسلك البشري في كل نشاطاته الحياتية يصطبغ بصبغة التوحيد: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ). [سورة البقرة: 138]، فالتوحيد والإيمان بالله هو المحور المحرك لسائر التصرفات والسلوكيات الضابط لها. فالسلوكيات ما هي إلا انعكاس لما استقر في قلب الفرد من تصديق وإيمان بخالقه سبحانه. كما أن الآيات واضحة الدلالة على التلازم بين الإيمان والعمل الصالح، فالإيمان بمفرده دون عمل صالح يرافقه في واقع الحياة ويظهر في سلوك الإنسان، لا يعكس تلك الحقيقة القرآنية العظيمة. فالإنسان ما لم يكن سلوكه مطابقاً لمنظومته الفكرية ومخزونه الإيماني، سيحدث فوضى تموي به في التناقض بين القول والفعل تنسحب على المنظومة السلوكية. من هنا فإن كان الإيمان معرضاً للزيادة والنقصان. ففوق الإيمان بمزاولة الطاعات وضعفه بارتكاب المعاصي.

وقد أنتجت المكتبة الإسلامية في عصور مختلفة، العديد من الكتابات في التعاليم الأخلاقية، منها ما جاء يعكس تلك العلاقة التلازمية بين الإيمان والأخلاق؛ منها ما جاء في صبغة توجيهات عملية بهدف تقويم الأخلاق، مثل رسالة ابن حزم "مدارة النفوس". ومنها ما جاء في وصف لطبيعة النفس وملكاها وتعريف للفضيلة وتقسيم لها على النموذج الأفلاطوني أو الأرسطي. وثمة مؤلفات ظهر فيه المنهجين معاً كما في كتاب الذريعة للأصفهاني وفي كتب الغزالي لاسيما كتابه "إحياء علوم الدين".

فالأخلاق والفضائل لا تُكتسب إلا بعد ممارستها، (وبلغة أرسطو) شأها في ذلك شأن الفنون جميعها التي لا نتعلمها إلا بممارستها. فالإنسان يصبح معماريًا بأن يبنى، ويصبح عادلًا بإقامة العدل، وحكيماً بمزاولة الحكمة، وشجاعاً باستعمال الشجاعة¹.

واهتم المفكرون المسلمون بالأخلاق العملية التي تعزز السلوكيات الحسنة المحمودة، ومنهم الغزالي رحمه الله حيث جاء ذلك واضحاً في كتابه جواهر القرآن، حين بدأ يحلل جوهر القرآن ليرده إلى عنصرين أساسيين أحدهما يتصل بالمعرفة (763 آية) والآخر بالسلوك (741 آية)². ويرى الغزالي أن الأخلاق الفاضلة لا تولد مع الإنسان وإنما يكتسبها بالتربية والتعليم من البيئة التي يعيش فيها.

وأوضح ابن سينا في كتابه الشفاء أن الأخلاق كلها مكتسبة لا فرق بين الحسن والقبیح فيمكن للإنسان أن ينتقل من خلق إلى غيره بتعود الأعمال التي تدعو إليه وتناسبه. وابن مسكويه يرى أن الغاية من التربية الأخلاق التي تتحول إلى سلوك يطبع التلميذ بطابع الحق والخير والجمال³.

أما الأخلاق عند الفارابي فهي علم عملي، يقوم على ممارسة الفعال المحمودة واتباع القدوة الصالحة لاكتساب ملكة الأفعال الخلقية، فكل إنسان حاصل على القدرة على فعل الخير ولكنه يتميها بالفعل والممارسة.

ولعل من أبرز محاولات المعاصرين في هذا السياق: محاولة الشيخ محمد عبدالله دراز في سفره الموسوم بدستور الأخلاق في القرآن. حين أوضح أن هدفه الرئيسي في أطروحته إبراز الطابع العام للأخلاق التي تستمد من القرآن من الناحيتين النظرية والعملية، محاولاً فيها أن يسد ثغرة في مؤلفات علم الأخلاق العام، فكان هدفه صريحاً "ملء هذه الفجوة في المكتبات الأوروبية، وحتى يبي علماء الغرب الوجه الحقيقي للأخلاق القرآنية، وذلكم في الواقع هو هدفنا الأساسي من عملنا هذا"⁴. فالسلوك الإنساني والأفعال الناتجة عنه هي التي تستطيع أن تحافظ على القيم الأخلاقية وتعطيها مزيداً من البقاء والديمومة حتى لا تكون عرضة للانفصال والتشردم والاندثار عن الحياة العامة للبشر.

وقد أكد في ذلك أن عرض الأخلاق نظرياً غير كاف لممارسة المتعلم للأخلاق وتحويل الإنسان إلى كائن أخلاقي. فمن الممكن أن يكون المرء فاضلاً دون أن يستطيع تعريف الفضيلة فحاجتنا إذن إلى أن نرى الفضيلة أعظم من حاجتنا إلى تعريفها⁵. ثم يؤكد ذلك من خلال طرح دور الممارسة والعمل والتطبيق في الجانب الأخلاقي بقوله: (ماذا يجب أن أعمل؟) ذلكم هو أعمّ الأسئلة وأشدّها إلحاحاً، وسوف يكون عملنا هذا ناقصاً بادي النقص لو أنه بعد أن كشف في القرآن عن

1- أرسطو طاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، تحقيق: أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 331. على الرابط الإلكتروني:

<https://www.kutub-pdf.net/book/%D8%B9%D9%84%D9%85-%>

2- أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم، بيروت، 1986م.

3- ابن مسكويه، تحذيب الأخلاق، مطبعة الترقى، مصر، على الرابط الإلكتروني: /1/9/view/12975/https://www.wdl.org/ar/item/12975/view/1/9/

4- محمد عبدالله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ص 4.

5- بتصرف عن المرجع السابق، ص 5.

الأساس النظري، وعن المبادئ العامة للأخلاق، أعرض عن مشاهدة الآثار العظيمة الرائعة للأخلاق التطبيقية، التي قدمها لنا هذا القرآن¹.

ثانياً: إجراءات الدراسة النظرية

تم اختيار مقرر السيرة النبوية وهو مقرر إلزامي لطلبة الدراسات الإسلامية واختياري لغيرهم في التخصصات الجامعية المختلفة. وتشكل دراسة السمائل والسجاي النبوية عنصراً بارزاً فيها.

ويتناول المقرر العديد من المباحث من أبرزها: أهمية دراسة السيرة النبوية لفهم حقيقة الإسلام وحقيقة النبوة والرسالة، والوقوف على أبرز المناهج والمؤلفات التي عرضت السيرة النبوية ودونتها. ثم عرض المعارف الضرورية التي ينبغي للطلبة الإمام بها عن نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم وولادته وحياته قبل البعثة.

ثم يعرض المقرر (غالباً محاضرات وعروض نظرية) مرحلة البعثة وبدء نزول الوحي وما تعرض له النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من مواقف شديدة. وقد تم خلال هذا العرض التركيز على الآيات القرآنية العظيمة التي تناولت تلك المرحلة وما مرّه به نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم من شدائد ومحن تنوعت ما بين الترغيب والترهيب غالباً. ولم تقف عند شكل معين بل كانت كثيرة متعددة، وكيف أن القرآن العظيم كان ينزل عليه بالثبوت إزاء ذلك كله.

وهنا تم توضيح بعض الجوانب التربوية للطلبة مع مراعاة ما يثار من شبهات ومزاعم من مستشرقين وغيرهم حول العديد من الأمور المتعلقة بالرسالة والنبوة والوحي وغير ذلك.

ومن أبرز ما اعتنت به أستاذة المقرر إيضاح أن المبادئ والقيم التي جاء بها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم تكن مجرد مواظب وخطب بل كانت أفعالاً وممارسات سلوكية على مستوى الفرد في العهد المكي والفردية والجماعية في العهد المدني. من هنا كان أثر القرآن والدعوة عظيمًا في النفوس وكانت ثمارها بقدر تطبيق مبادئها. وهنا جاء شرح معنى القدوة وأثرها ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ . الأحزاب: 21.

وفي ثنايا الحديث عن تلك المراحل والوقفات في عمز الدعوة الإسلامية، جاء الحديث مبثوثاً عن صفاته وأخلاقه صلى الله عليه وسلم، الذي أحدث التغيير العظيم و النقل النوعية في حياة الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن البداوة إلى الحضارة.

وقد تمّ توضيح تلك المفاهيم للطلبة وكيف أنها تفرض على الإنسان الالتزام بالقيام بكافة التكليف والمسؤوليات التي أوجهاها الله سبحانه عليه، والعمل ضمن إطار النهج الإلهي.

ومن هنا تمّ التأكيد للطلبة أن القيم الأخلاقية في المفهوم القرآني ليست مفهومًا نظريًا أو تجريديًا بل هو مفهوم تطبيقي تتضح من خلاله كيفية تفاعل الإنسان مع الحياة في مختلف المجالات²، وعلى هذا يكون الدور الذي يقوم به الإنسان

1- المرجع السابق، ص 688.

2- انظر الكثير من التفاصيل حول ذلك في كتابنا: Studies in Islamic Culture, University of Bahrain Press, 2016, p100

في واقع الحياة فاعلاً ومنتجاً مثمراً وما يحافظ فيه على القيم الحضارية الإنسانية تمثل في كل ما يؤدي إلى العمل الصالح الذي هو قرين الإيمان بالله سبحانه. والإنسان الصالح المصلح هو النموذج الذي تسعى القيم الأخلاقية لإعداده.

وفي هذه المرحلة (التي تمّ فيها تقديم المدخل النظري للموضوع) طرحنا على الطلبة العديد من التساؤلات حول العلاقات الارتباطية بين ما تعلّموه حول القيم الأخلاقية للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي تعلموه نظرياً، وبين تمثلهم وتطبيقهم لتلك القيم في حياتهم وواقعهم. خاصة وأنّ ثمة أفكاراً تنتشر في وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها بين كثير من الشباب تفصل بين العقيدة والسلوك، تدعو إلى عدم ضرورة الالتزام بالتكاليف الدينية، وإلى التفكّلت من الالتزام بالواجبات، تحت ذريعة أنّ صفاء القلب ونقاءه يغني الإنسان عن العمل بالتكاليف.

الأمر الذي يؤدي إلى تحول الشخصية الإسلامية إلى شخصيةٍ خاويةٍ فارغةٍ من الداخل، تعيش حالة من التناقض والتضارب بين ما تؤمن به وبين ما تسلكه في حياتها وواقعها. ويصبح الإيمان بالله شعاراً يرفع دون ظهور أثر له في واقع أو سلوك أو خلق.

وهنا أثار عدد من الطلبة في المحاضرات النظرية، إشكالية ازدواجية الحاصلة في الواقع لدى العديد من الناس فيما يتعلق بالعلاقة بين الإيمان وشعائره من جهة والأخلاق والسلوكيات من جهة أخرى. الأمر الذي يجعل المعارف والقيم الأخلاقية التي يدرسون عنها، تظهر وكأنها مثل أفلاطونية لا تربط الأخلاق بالحياة العملية¹.

وقد استغرقت هذه المرحلة فترة أسبوعين من المحاضرات والتكليف ببعض الواجبات الكتابية المبنية على قراءة مقالات حول هذه المسألة تحديداً. وفي نهاية الفترة النظرية تمّ تخصيص جلسة نقاشية طرحنا فيها على الطلبة تساؤلات حول مدى تطبيق القيم الأخلاقية التي تعلّموها في السيرة النبوية من عدالة وتسامح وعطاء وصدق في حياتهم اليومية من خلال النقد الذاتي البناء.

وهنا أظهر عدد من الطلبة استيائهم من وجود بعض السلوكيات السلبية كالغش والاحتيال والكذب والتلفظ بالألفاظ النابية وسوء التعامل بين بعض الشباب، الأمر الذي يكاد يصل حدّ التناقض بين النظرية والتطبيق لمعنى الأخلاق والإيمان². إذ أن العديد من المسلمين يحفظون من الأحاديث ويعرفون من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ما يخالف ما يمارسونه ورغم ذلك يكتفون بحفظ المعلومات دون الالتزام بتطبيقها عملياً.

وفي هذه المرحلة بدأت الباحثة بالتفكير في مسألة تلازم الجانب السلوكي والأكاديمي في العملية التعليمية، ومدى تحقق ذلك في تدريس المقرر. إذ أن المفهومين ينبغي أن يكونا متلازمين ويسيران بخط متوازي المسار سواء على مستوى مناهج المدرسة ومقرراتها أو على مستوى طرق التدريس وفهم استعدادات الطلبة وقدراتهم وإمكاناتهم وتوظيفها لخدمة العملية

1- حول الانقسام والازدواج الحاصل في مجتمعاتنا بشكل عام، راجع: تقديم كتاب مقدمات في مشاريع البعث الحضاري، طارق البشري، دار القلم، الكويت، 1987م، ص 12.

2- هذه المسألة تناولها عدد من الكتاب مؤخرًا منهم د. فايز الشهري. <http://www.al-jazirah.com/culture/2014/14062014/ttt18.htm>

التعليمية من خلال الأنشطة الصفية واللاصفية أو على مستوى سياسة التقييم التي ينبغي أن تعطي الجانب السلوكي حقه كما تعطي الجانب الأكاديمي قيمته.

فما هي الأدوات التي يمكن توظيفها لمحاولة ردم الافتراق الحاصل بينهما. خاصة وأن عمليات التقويم التربوي المستعملة من اختبارات وعروض وما شابه لا توضح حقيقة التغير المطلوب إحداثه عند المتعلمين على المستوى الوجداني والسلوكي.

والتقويم السلوكي جزأ لا يتجزأ من عملية التعليم والتعلم ، وهو عبارة عن التغير المرغوب المتوقع حدوثه في سلوك المتعلم والذي يمكن تقويمه بعد مرور المتعلم بخبرة تعليمية معينة.

فالغاية من دراسة السيرة النبوية؛ تحقيق مقصد تزكية النفس والسمو بالجانب الأخلاقي لدى المتعلم ليتحقق معنى الاقتداء بشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. ولتحقيق هذا الهدف لا بد أن يتم الجمع والتوفيق بين المعارف والخبرات التي يتلقاها المتعلم من جهة وبين ما يمارسه في واقعه بناءً على المعارف المكتسبة من جهة أخرى. فالأخلاق، معرفة وإرادة وممارسات سلوكية تستقر في النفس الإنسانية وتدفع بها إلى عمل الخير. ولا يكفئ بمعرفة القواعد دون تعليم ممارستها والتدرب عليها ومن ثم التأكد من فهم المتعلم لها ولآليات ممارستها وفوائدها ذلك في حياته العملية.

وهنا قررت الباحثة أستاذة المقرر تطبيق آلية المشاريع العملية وتدريب الطلبة عليها، وتقسيم الطلبة إلى مجموعة تقوم بتلك المشاريع والممارسات التي تعكس ما يتعلمونه من قيم أخلاقية (التجريبية)، ومجموعة تكفي بالتعلم النظري السائد (الضابطة).

فالسلك الأخلاقي يتكون من أربعة مكونات أساسية:

الجانب المعرفي وهي ضرورة للوصول إلى الحكم الخلقى السليم إلا أن المعرفة بالصواب لا تعني بالضرورة اتباعه. الجانب الوجداني الشعور بالرضا عند الإيمان بمبدأ أخلاقي معين. الجانب السلوكي النزوعي: يأتي من تدريب الفرد على تنفيذ الخير والاعتقاد عليه واختياره حتى يصبح عمل الخير والالتزام الخلقى عادة راسخة في الإنسان. ثمة عوامل تؤثر في السلوك الأخلاقي منها أساليب التنشئة الاجتماعية، الشخصية، الأقران... فالسلوك الأخلاقي يتضمن العديد من المكونات التي تعبر عن جوانبه الثلاثة (المعرفية، والوجدانية، والأدائية)، وتمثل هذه المكونات في: الاستدلال الخلقى، والحكم الأخلاقي، والالتزام بالقواعد والمعايير الاجتماعية والأخلاقية، والضمير، ومشاعر الذنب، والتعاطف، والتمثل الوجداني، والمشاركة الوجدانية، والإيثار، و المساعدة، وتقديم العون.¹

1-سهام محمود العراقي، في التربية الأخلاقية مدخل لتطوير التربية الدينية، مكتبة المعارف الحديثة ، 1984م.

المبحث الثاني: المدخل الإجرائي

هذا النموذج يبين كيفية دمج تعليم وتعلم مهارة المشاريع العملية في تدريس الأخلاق النبوية في مقرر السيرة النبوية، ويبين الخطوات والآليات التي قامت بها الباحثة ليستوعب الطلبة مهارة المشاريع العملية ودورها في ممارسة الأخلاق والشماثل التي تعلّموها نظرياً في مقرر السيرة النبوية. ومن ثمّ الكشف فيما إذا كان هناك علاقة بين هذه الآلية في التعلّم وتعزيز القيم الأخلاقية لدى الطلبة.

أولاً: عينة الدراسة

تشكلت عينة الدراسة من طلبة مقرر السيرة النبوية في الجامعة والبالغ عددهم (50)، وقد تمّ اختيار عينة كمجموعة تجريبية وعينة كمجموعة ضابطة بالتعيين العشوائي. جدول (1) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المجموعة والشعب.

التجريبية	الضابطة
25	25

ثانياً: الخطوات الإجرائية

استغرق تدريس المبحث (3) أسابيع، بواقع (3) حصص أسبوعياً، حيث درست المجموعة التجريبية باستخدام آلية المشاريع العملية، في حين درست المجموعة الضابطة بالطريقة الاعتيادية وبعد المحاضرات والموضوعات نفسها، وبعد الانتهاء تمّ تطبيق أدوات الدراسة على عينة الدراسة للمجموعة التجريبية والضابطة، ومن ثمّ تحليل النتائج والتوصيات، وقد اعتبرت المجموعة التي درست باستخدام آلية تدريسية قائمة على المشاريع العملية مجموعة تجريبية بينما اعتبرت المجموعة التي درست بالطريقة الاعتيادية مجموعة ضابطة.

كما حرصنا على توفير بيئة تعليمية للمجموعة التجريبية وتقسيمهم إلى مجموعات أصغر مكونة من خمسة طلاب، للنقاش والحوار في القيام ببعض المشاريع الأخلاقية كزيارة مرضى في المستشفيات، قضاء يوم إجازة مع أطفال التوحد، زيارة دار المسنين، التبرع بالدم وتقديم المساعدة للمتبرعين، كما وجهنا الطلبة إلى القراءة عن الموضوع أكثر، وإرشادهم إلى العديد من المراجع التي اهتمت بأهمية الربط بين ما يعرفونه عن الأخلاق الحسنة من تعاون وإيثار وعطاء وتعاطف ورحمة وبين ممارساتهم لذلك¹.

1- تم عرض هذه المشاريع العملية في مؤتمر قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بعنوان: المفاهيم والنصوص قراءات تطبيقية في ضوء تضاف العلوم: 24-2019/4/25.

ومن أبرز الأسباب التي دفعتنا إلى التفكير في تبني هذا النوع من الآليات في التدريس، تصورنا أن انغماس الطلبة في جمع المعلومات عن الفئات المجتمعية الأكثر حاجة للدعم النفسي والتأهيل وتحليلها وتفسيرها ثم وضع المقترحات المناسبة لتقدم الدعم لهم، يجعلهم يكتسبون المعرفة العلمية الواقعية مما يؤدي إلى إحداث التنمية المطلوبة لمهاراتهم العقلية والعملية، وتحدي قدراتهم الإبداعية في كيفية تقديم الدعم النفسي والمساعدة لهم، وبذلك تتطور لديهم القدرة على التفكير الأخلاقي وتعزيز السلوكيات الأخلاقية¹.

وقد تم تحديد المطلوب منهم القيام به للمساهمة في ممارسة القيم السلوكية والافتداء بشخص النبي الكريم □ في الواقع.

ثالثاً: أداة الدراسة

الأداة المستعملة في الدراسة استبانة قمنا بتطويرها بعد الاطلاع والوقوف على العديد من الأدوات الجاهزة².

صدق وثبات الأداة:

تم عرض المقياس على مجموعة من المحكمين من أساتذة في الدراسات الإسلامية (تخصص الفلسفة والأخلاق)، وبعض أساتذة علم النفس. كما تم تطبيق المقياس في صورته الأولية على عينة استطلاعية عشوائية بلغ عددها (100). أما ثبات الأداة فقد تم حسابها بطريقة التجزئة النصفية: حيث تم تقسيم فقرات الاستبانة إلى نصفين، بحيث يمثل النصف الأول الفقرات الفردية الرتبة، ويمثل النصف الثاني الفقرات الزوجية الرتبة، وتم حساب معامل الارتباط بين النصفين بمعادلة ارتباط بيرسون فكان ((84.0). وبعد ذلك تم تطبيق معادلة سبيرمان/ براون، وبحساب معامل الثبات كان الناتج ((91.0) وهو معامل ثبات عال يؤكد صلاحية استخدام الاستبانة في الدراسة³.

ويتكون المقياس بصورته النهائية من 40 فقرة يجيب عليها الطالب من خلال وضع علامة X ((أمام الخانة التي تناسبه من حيث درجة انطباق محتوى الفقرة عليه، والتي تتكون من تدرج خماسي: أوافق بدرجة كبيرة، أوافق، متردد، لا أوافق، لا أوافق بدرجة كبيرة. وتأخذ الإجابة "موافق بدرجة كبيرة" 5 نقاط، و "أوافق" تأخذ 4 نقاط، وتأخذ 3 نقاط لـ "أوافق بدرجة متوسطة"، ونقطتان لـ "لا أوافق"، و "لا أوافق بدرجة كبيرة" تأخذ نقطة واحدة.

وتبين أن معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية للمقياس دالة عند مستوى 0.01 مما يدل على تماسك المقياس والاعتماد عليه في قياس السلوك الأخلاقي لدى أفراد العينة الأساسية.

1- راجع في ذلك: استراتيجيات التدريس والتقوم .. مقالات في تطوير التعليم، طافش الشقرات، دار الفرقان، الأردن، 1430هـ، ص 45-70. وراجع كذلك المنيد من المعلومات في الدليل: استراتيجيات التقوم وأدواته.. الإطار النظري، 2004م، على الرابط الإلكتروني:

<http://www.moe.gov.jo/Files/%2812-5-2010%29%283-49-48%20PM%29.pdf>

2- http://biblio.univ-alger.dz/xtf/data/pdf/1110/BENYOUCEF_AMEL.pdf

3- سامي ملحم، القياس والتقوم في التربية وعلم النفس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2005، ص 264.

رابعاً: عرض ومناقشة نتائج الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى تقصي أثر استخدام آلية المشاريع العملية لدى طلبة المقرر الجامعيين، من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين استعمال آلية المشاريع العملية في تدريس مقرر السيرة النبوية وشمائل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من جهة و تعزيز السلوكيات الأخلاقية من جهة أخرى على مستوى دلالة 5%. بين متوسط درجات المجموعة التجريبية القبلي والبعدي على مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي؟. وللإجابة عن ذلك، تم التأكد من تكافؤ طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة في الدافعية والإقبال على التعلم، حيث تم استخدام اختبار (test t)) لمقارنة متوسطات المجموعة الضابطة بمتوسطات المجموعة التجريبية على المقياس القبلي.

جدول (2) نتائج اختبارات (t test) للاختبار القبلي : للمجموعتين التجريبية والضابطة

الفرق في الاختبار القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة وفقاً إلى اختبار Mann-Whitney U Test

المجموعة الضابطة الاختبار البعدي		المجموع الضابطة - الاختبار القبلي	
الرتبة	الدرجة	الرتبة	الدرجة
16	44	5	20
11	32	4	19
15	43	6	21
9	29	2	18
10	31	7	22
12	37	8	25
14	41	1	17
13	39	4	19
8 = N2		8 = N1	
U2= 100		U1= 37	
Mann-Whitney U Test = 48		Mann-Whitney U Test = 15	

يتضح أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في قياس أبعاد السلوك الأخلاقي للمجموعة

الضابطة للاختبار القبلي والبعدي.

ومن ثمّ طبقت آلية المشاريع العملية على المجموعة التجريبية، وأجري القياس البعدي على المجموعتين التجريبية والضابطة باستخدام اختبار t test ((لمقارنة متوسطات المجموعة الضابطة بمتوسطات المجموعة التجريبية على المقياس البعدي، وكذلك لمقارنة متوسطات المجموعة التجريبية قبل تطبيق آلية المشاريع العملية وبعده.

الفرق في الاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية وفقا إلى اختبار Mann-Whitney U Test جدول (3)

المجموعة التجريبية الاختبار البعدي		المجموع التجريبية - الاختبار القبلي	
الرتبة	الدرجة	الرتبة	الدرجة
5.5	20	2.5	19
14	33	9	21
13	31	5.5	20
12	27	5.5	20
15	39	9	21
16	34	11	22
9	21	1	18
2.5	19	5.5	20
N2 = 8		N1 = 8	
U2= 87 Mann-Whitney U Test = 35		U1= 49 Mann-Whitney U Test = 3	

وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أداء طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي لصالح المجموعة التجريبية. كما أظهرت نتائج الدراسة تفوق طلاب المجموعة التجريبية التي درست باستخدام آلية المشاريع العملية على طلاب المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة التقليدية السائدة، وذلك على مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي المصمم. وتكمن أهمية هذه النتيجة في أنها تقدم آلية ناجحة لتنمية وتعزيز السلوكيات والقيم الأخلاقية وتحقيق معنى الاقتداء بشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لدى الطلبة الدارسين لمقرر السيرة النبوية. نحو تعلم الثقافة الإسلامية بشكل عام لدى الطلبة الجامعيين.

جدول (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة على مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي

المجموعة	العدد	المقياس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التجريبية	25	قبلي	2.31	0.87
		بعدي	4.18	0.75
الضابطة	25	قبلي	2.30	0.60
		بعدي	2.56	0.62

وتشير قيم المتوسطات الحسابية المبينة في الجدولين إلى تكافؤ المجموعتين على مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي القبلي، أما على مقياسها البعدي فتشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية، حيث بلغ المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية (4.18)، وللمجموعة الضابطة (2.56) كما تشير إلى فروق بين متوسطات المجموعة التجريبية نفسها مقارنة بأدائها على المقياس قبل تطبيق الآلية والتدريب عليها وبعده فحاء المتوسط الحسابي لها على المقياس القبلي (2.31) والبعدي (4.1).
جدول (5) نتائج اختبارات (t test) للمقارنة بين متوسطات المجموعتين على مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي البعدي

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	الدلالة
التجريبية	25	4.18	0.75	5.698	0.001
الضابطة	25	2.56	0.62		

يشير الجدول أعلاه إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لأفراد المجموعة التجريبية والمتوسطات الحسابية لأفراد المجموعة الضابطة في مستوى ممارستهم الأخلاقية بعد توظيف آلية المشاريع العملية في تدريس البحث، وذلك عند مستوى الدلالة (05.0 α)) ويعني ذلك أن المجموعة التجريبية لديهم مستوى أعلى في القيم الأخلاقية من المجموعة الضابطة، وذلك بدلالة إحصائية للفروق بين متوسطات المجموعتين والتي كانت لصالح المتوسط الأعلى للمجموعة التجريبية (2.56)، وذلك بعد توظيف تعليم وتدريب المجموعة على آلية حل المشاريع العملية في دراسة القيم الأخلاقية والشمائل للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

وتؤكد هذه النتيجة ما سعت الآلية التدريسية القائمة على المشاريع العملية وتدريب الطلبة على ممارسة الأخلاق الحسنة التي يتعلمونها في الواقع إلى تحقيقه من خلال الدعوة إلى ضرورة الاهتمام بممارسة الأخلاق والتدريب عليها ووجوب تمتيتها لدى الطلبة، وتشجيعهم لتوظيف المعرفة النظرية التي يتلقونها في حياتهم وتعاملاتهم مع الآخرين.

ويمكن تفسير تفوق المجموعة التجريبية الذين درسوا القيم الأخلاقية في السيرة النبوية بآلية المشاريع العملية على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوه بالطريقة الاعتيادية في مقياس أبعاد السلوك الأخلاقي بأن آلية المشاريع العملية، جعلتهم يقومون بممارسة ما تعلموه من تعاون وعمل في مجموعات وتقدم المساعدة للآخرين والتعاطف مع مشاعرهم والرحمة

بهم وتفهم ظروفهم... وكلها أعمال درسوها في السيرة النبوية وتعلّموا كيف تعامل النبي الكريم □ معها. بل وحفظوا عددًا من الأحاديث والأقوال حولها. الأمر الذي جعلهم يتفوقون في أبعاد مقياس السلوك الأخلاقي على أقرانهم ممن لم يمارسوا ما تعلموه وقرأوا عنه. فالممارسة العملية للخلق المحمود، تعززه في النفس وتقويه وتشعر الفرد بالسعادة والرضى نتيجة القيام به. وهو أمر توقّعه الباحثة إذ أن التدريب والممارسة العملية تعزز في تقوية الجوانب الأخلاقية والسلوكيات الحسنة. كما أن النتيجة المتوسطة التي حاز عليها طلاب المجموعة الضابطة بالطريقة الاعتيادية المتعارف عليها، جاءت غالبًا نتيجة للأسلوب المتبع في سرد المعلومات والمحاضرة الذي يجعل الطالب متلقياً غير فاعل أو متفاعل مع المعلومة. الأمر الذي يؤكد أهمية تبني آليات ووسائل تدريسية مختلفة تفتح آفاقاً كبيرة لدى الطالب في التفكير والعمل الإيجابي.

ومما لاشك فيه أن القيم الأخلاقية من أهم القضايا التي تسعى المؤسسات التعليمية إلى غرسها في الشباب وتنميتها وتعزيزها خاصة وأن ذلك سينعكس على البيئة المحيطة بهم سواء في البيت أو العمل. ومما أن الإنسان هو أداة التنمية ووسيلتها وغايتها فإنه لا بد وأن يحاط بقيم فاضلة تضبط مسيرة التنمية وتدفع بها نحو الرفعة والتقدم. ومما لاشك فيه أن الطلبة الدارسين لمقرر السيرة النبوية وغيرها من مقررات إسلامية أدمى للالتزام بهذه الأخلاقيات؛ كونهم يتلقونها في مختلف المقررات ولو نظريًا. الأمر الذي يستدعي ضرورة العناية بتقييم مستوى ممارستهم لتلك القيم الأخلاقية، ومن ثم النظر في أساليب تعزيزها.

وتشتد الحاجة إلى ذلك في ظل الظروف الراهنة التي تشهد ثورة في وسائل الاتصال الحديثة، وما تحمله في كثير من الأحيان من انتهاكات قيمة عبر القنوات الفضائية ومواقع التفاعل الاجتماعي (الفيس بوك والتويتر واليوتيوب..). الأمر الذي يجعل من العسير على المؤسسات التعليمية والتربوية تجاهل مثل هذه الممارسات وما يمكن أن تفرزه في البيئة التعليمية.

الخاتمة والنتائج

استهدفت هذه الدراسة الكشف عن دور آلية المشاريع العملية في تدريس طلبة السيرة النبوية على ممارستهم للقيم الأخلاقية. وقد استخدم فيها المنهج الوصفي التحليلي من خلال إجراء اختبار قبلي وبعدي للكشف عن أثر هذه الآلية في زيادة وتعزيز السلوكيات الأخلاقية. وقد أظهرت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الأخلاقي للطلبة في الاختبار البعدي لصالح المجموعة التجريبية تعزى إلى تطبيق آلية المشاريع العملية في تدريس السيرة النبوية وخاصة ما يتعلق بالجوانب الأخلاقية والشمائل لشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الأمر الذي يؤكد فاعلية آلية المشاريع العملية في تدريس مقرر السيرة النبوية.

وإذ تناولت الورقة هذه الآلية، تخلص إلى أن واحدة من أهم حلقات التجديد في وسائل التعليم بشكل عام وتعليم مقررات الدراسات الإسلامية بشكل خاص؛ التوجّه نحو تعليم يركز على بناء الخبرات المرتبطة مباشرة بواقع المتعلم وحياته اليومية، وما يلاقه فيها من مشكلات وصعوبات، وممارسة مهارات الفهم العميق والاستقصاء الدقيق والقدرة على بناء معنى لما يتعلّمه إلى جانب بناء القدرة الذاتية على اكتساب المعرفة وتطبيقها ميدانيًا على أرض الواقع من خلال المشاريع العملية وحلّ المشكلات واتخاذ القرارات المناسبة، الأمر الذي ينعكس إيجابًا على تنمية القيم والسلوكيات الأخلاقية للطلبة.

ويمكن إجمال ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فيما يلي:

- أهمية التدريس العملي لكثير من المباحث النظرية في الدراسات الإسلامية خاصة وفي الدراسات المختلفة عامة، وربطه بالواقع من خلال إدخال آليات تعليم جديدة مثل: المشاريع العملية، حلّ المشكلات في مباحثه لإخراجه من حيز التنظير إلى التطبيق والواقعية، وإشراك الطلبة في حل المشكلات الواقعية المتعلقة بالجوانب النظرية التي يتلقونها.
- تأكيد فاعلية تطبيق آلية المشاريع العملية في تعزيز السلوكيات الأخلاقية للطلبة وتمييزها.
- تبني آلية المشاريع العملية، يُشعر الطلبة بتحمل مسؤولية أكبر في عملية التعلم، ويدافع أكبر لما ينجزونه ويتوصلون إليه، وهذا بدوره يعزز إحساسهم القيمي وسلوكهم الأخلاقي.